لواقعهم. فالمشروع الصهيوني مشروع استيطاني مبني على نقل كتلة بشرية لتحل محل الفلسطينيين وتغيبهم (فيما نسميه مقولة «العربي الغائب»)، وتلغي تاريخهم وتستولي على أرضهم، وهو ما لن يتحقق إلا من خلال العنف واختلاق الحقائق الاقتصادية والسياسية والاستيطانية بالقوة العسكرية. وقد أدرك المستوطنون الصهاينة أن الأرض التي يسيرون عليها ويدَّعون ملكيتها منذ آلاف السنين هي في واقع الأمر ليست أرضهم، وليست أرضاً بلا شعب كما كان الزعم، وليست مكاناً محضاً. بل هي مكان له تاريخ، وأن أهلها لم يستسلموا كما كان متوقعاً منهم، ولم تتم إبادتهم كما كان المفروض أن يحدث، ولم ينته تاريخهم كما كان الزعم والأمل. بل إنهم يقاومون وينتفضون ويزدادون في العَدد والكفاءات، ولم يكفوا عن المطالبة بشكل صريح بالضفة والقطاع، وبشكل خفي بكل فلسطين وبحق العودة إليها. وقرارات هيئة الأمم المتحدة الخاصة بحق العودة لا تزال سارية المفعول، ولم تُقبل إسرائيل عضواً في المنظمة الدولية إلا بعد تعهدها بتنفيذ هذه القرارات، ويساندهم في هذا كله الشعب العربي. ومسألة العجز العسكري العربي والتفوق العسكري الإسرائيلي ليست مسألة أزلية، وقد أثبتت حرب الاستنزاف وحرب ١٩٧٣، ثم المقاومة في لبنان، وبعدها الانتفاضتان، أن العرب قادرون على أن يعيدوا تنظيم أنفسهم ويهاجموا المستعمر ويُلحقوا به خسائر فادحة.

ثمة إحساس عميق بأن العربي الغائب، أو المطلوب تغييبه، لم يغب، مما يعني عودة الزمان، وهو إحساس في جوهره صادق. فالكيان الصهيوني محاصر بالفعل ومُهدَّد دائماً، والعرب في واقع الأمر لا يمكن «الثقة بهم»، لأن الجماهير العربية لن تقبل حالة الظلم باعتبارها حالة نهائية، رغم توقيع معاهدات السلام الكثيرة! فهم سيتحركون في الزمان ليستعيدوا المكان الذي فقدوه. ومن هنا كان الهاجس الأمني، ومن هنا كان الإحساس بأن أمن إسرائيل مُهدَّد دائماً. فظهرت فكرة الأمن السرمدي اللا زمني، وأن حالة الحرب مع العرب حالة شبه أزلية، وأن البقاء هو الهدف الأساسي للاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية. وقد عبَّر حاييم أرونسون عن هذه الرؤية في إحدى دراساته بالإشارة إلى ما سماه «حرب المائة عام» (١٨٨٢ -